

اللغوية • وتتوالى ، بعد ذلك الحكم ، في خط هذا التوازن وفي ظله ، أحكام أخرى تؤكد بدايتها دونما حاجة الى نفي الشك عنها ، طالما ان منطق علاقة التوازن الشكلي في لغة الحكم الاول هو الذي يحكمها ضمناً ، فتنقبل ، حينئذ ، بقوة البدهاة التي انقبل فيها الحكم الاول • « انه بلد قديم جداً ، هو اليوم يانع جداً • موقعه الجغرافي المتوسطي هو من اهم المواقع واكثرها تعرضاً (للخطر) • فهو يقع على احدى الطرق البرية والبحرية الاكثر ضرورة في العالم ••• تتجابه فيه الاعراق والمعتقدات والطقوس واللغات وانماط الفكر والتقاليد • وهو ، في آن معا ، « ملجأ » وبلد هجرة ، بلد جبال وسهول ومناخات متنوعة وثقافات مختلفة • نجد فيه كل اشكال الجنس البشري والعمل البشري ••• التعارضات الاكثر حدة ، والعقليات الاكثر تنوعاً ، والتقاليد الاكثر تبايناً ، والوجود الاقل تجانساً • انه عالم مصغر » (٤) •

تبدو هذه اللوحة التي يرسمها شيخاً هنا-للبنان ، في الظاهر ، لوحة حيادية انطباعية ، تلتقط فيها العين من الواقع المرئي ما تتبينه بموضوعية بريئة • لكن ، ما ان ندقق النظر فيها قليلاً حتى تنفجر للعين النقضية ثوابت الايديولوجية البرجوازية اللبنانية • لبنان هذه الايديولوجية مجموعة تناقضات ، منها ما هو ، في الظاهر ، تاريخي : فلبنان بلد قديم جداً ، له من العمر خمسة الاف سنة او اكثر (٥) ، لكنه شاب حديث السن • (انه يتجدد دوماً في قدمه) • فها هو يخرج من الانتداب الى الاستقلال • ومنها ما هو جغرافي : فهو بلد جبال وسهول ، تجتمع فيه ، على صفره ، مناخات متعددة • وهو بلد جبلي وبحري ، له وجه للمداخل ، والوجه كله للبحر • (وتنزلق في التعريف كلمة ، ظاهرها بريء ، تحدده كبلد متوسطي • وسيكون لهذه الكلمة البريئة جداً شأن عظيم في نظام هذه الايديولوجية المتناقضية) • ومنها ما هو حضاري وفكري وثقافي ولغوي وديني ، بل حتى عرقي • فلقد اجتمعت فيه الاديان كلها ، والتقاليد كلها ، والاجناس البشرية كلها • انه تصغير للعالم كله • انه فجر للبشر كلهم ، قديمهم وحديثهم ، وموطيء قدم للاقوياء منهم ، وملجأ للمستضعفين • خليط من الحضارات ، وبلد هجرة •

لكن ما يميز هذه التناقضات ، في طابعها الرئيسي ، هو انها تناقضات دائمة ، او قل على الاصح ، انها تناقضات جوهرية ، بمعنى انها تناقضات هذا الجوهر الذي هو لبنان • واذ تتجور فيه التناقضات ، ينتفي ، بالضرورة ، طابعها التاريخي : انها في حركة تتكرر ، لا تتطور او تتغير • انها ملازمة لهذا الدائم الذي هو موضوع التعريف • والدائم هذا ، لانه الجوهر ، غاب عن تعريفه ما يجب ان يبدأ به التعريف ، لو كان التعريف تاريخياً : اي الاقتصاد • الا ما ورد في التعريف من ان ، في لبنان ، نرى اشكال العمل البشري كلها •